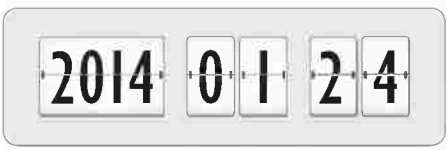

عدنا من آسيا في الوقت المناسب لذهاب تشلسي إلى المدرسة، باتت في الخامسة عشرة، وراحت تتصرف مثل المراهقات أكثر فأكثر، يومًا بعد يوم، تذكرت ما قالته لي جاكي عن كارولاين مراهقة: «هي تعرف كل شيء، أنا لا أعرف شيئًا». أدركت بدقة ما عنته جاكي، صوت خافت في أعماقي طالبني بأن أكون سعيدة بكون تشلسي طبيعية التصرفات بحسب سنها، إلا أن صوتًا أكبر صرخ قائلًا: «ما الذي جرى لفتاتي الصغيرة التي لم تكن تأتي بأي حركة في أي وقت من دون إذن أمها؟ أين هي؟ أفتقدها!».

ظلت تختبر استقلالها، اختبارًا بات- يجب أن أقر- استثنائي الصعوبة بالنسبة إلى مراهقة جراء تعرضها للتعقب الدائم، دقيقة بعد أخرى من قبل عناصر الجهاز السري، بله أم مولعة بحبها شديدة المبالغة في توفير الحماية لها. أخيرًا ضربت الأرض بقدمها وقالت: «أنا أريد أن أركب مع البنات الأخريات، لا أريد أن يتم إيصالي مثل كائن استثنائي في سيارة بقيادة عناصر الجهاز السري!». أحيانًا يكون المراهقون محقين، وعلى صعوبة الأمر، وجدت رأيها صائبًا فأذعنت.

مثل الفتيات الأخريات اللواتي في سنها، كانت حياة تشلسي دائرة حول صديقاتها، حول المدرسة، وحول الكنيسة، وحول الباليه؛ كانت تشلسي تعشق الباليه، وكل يوم تأخذ دروس باليه بعد المدرسة لبضع ساعات في إحدى مدارس الباليه الواشنطنية، آنذاك أرادت أن تصبح راقصة محترفة، إلا أنني لم أخبرها بأن حظوظها في النجاح، لاسيما بوصفها ابنة رئيس جمهورية، لم تكن عظيمة، تصورت أن كل فتاة تحلم بأن تصبح ممثلة، أو راقصة، أو مطربة غناء حين تكبر، ولابد لتشلسي من أن تتجاوز ذلك الطموح سنًّا آخر المطاف، أحمد الرب أنني كنت على صواب.

أنا لست هاري ترومان الذي بالغ في توبيخ الناقد الموسيقي الذي تجرأ على انتقاد غناء مارغريت ترومان، مع أن بل كان من شأنه أن يكون، سعيدة أنا إذ لم أضطر للاشتباك مع كليهما حول الموضوع كما فعلت جاكي مع جون الابن عندما أراد أن يصبح ممثلًا، وبعد حصص الباليه، كانت تشلسي تعود لتنكب على تلال الوظائف البيتية المفروضة على طالبات السنة الثانوية الثانية اللواتي أصبحن على عتبة الالتحاق بالكلية، في الدراسة الجامعية، وبكل ما عندي من خبرة تعليمية رأيت أنني قادرة على مساعدتها كثيرًا في عملية الانتساب إلى الجامعة.

ولكن هل تظنين أنها أرادت مساعدتي في ملء استمارات انتسابها؟ لا، أعلنت بوضوح كامل أنها باتت في سن يؤهلها للاهتمام بشؤونها الخاصة، وأنَّ علي أنا أن أكف عن امتطاء كتفها! يحرجني أن أصارحك- يا دكتورة- بأنني أويت إلى الفراش وبكيت إلى أن أخذني النوم، وبعد قضاء بضع ليالٍ على هذا النحو، قررت أن تشلسي كانت محقة في أن تكون ذاتها، وقررت أن أمتثل لرغبتها، وواظبت على ذلك، أقله جل الوقت.

صعبٌ أن يُصدق، ولكن تشلسي صارت في السادسة عشرة من العمر، وما أفزعني أنها أرادت أن تتعلم قيادة السيارة، والأكثر سوءًا هو أنَّ بل نفسه كان

سيتولى تعليمها، في الحالات العادية لم يكن الجهاز السري يسمح لبل بالقيادة، وهو أمر رأيته جيدًا، كان ذا عقلية شبيهة بعقلية جامع القمامة الذي يراكم كميات هائلة من المعلومات بما يبقيه، في أي لحظة معينة، عاجزًا عن رؤية الجهة التي يتقدم نحوها، غير أنه أصرَّ على القيام بواجبه الأبوي، وأغوى الجهاز السرِّي تملقًا حتى أعاره إحدى السيارات في كامب ديفيد؛ لأن أيًّا منهما لم يبالِ بمخاوفي.

تركز درسها الأول في القيادة على الرجوع إلى الخلف والركن الموازي، لذت بسرير النوم ورأسي تحت الأغطية، بعد الدرس سألت: «كيف كان الدرس؟». اكتفت تشلسي بقول إن أباها كان قد تعلم أشياء كثيرة. أطلت النظر إليهما كليهما بإمعان، غير أن بل بدا مشمئزًا قليلًا!.